كلمة وزارة التعليم العالي

أ. د. محمد موعد(*)

بادئ ذي بدء أعبر عن كبير شكري لمجمع اللغة العربيّة بدمشق لدعوته إلى هذه الندوة التي تدلّ أن اللغة العربيّة لا تغيب عن هذا المجمع العريق، فهي همّه الأول الذي يسعى لبسطه في المجتمع، ولا ريب أنه قطع في هذا أشواطاً كبيرة لا يتسع الموضع للكلام عليها في هذه الدقائق.

وأشرع حرصاً على الوقت بالكلام على ما حاولت لجنة تمكين اللغة العربيّة في وزارة التعليم العالي أن تفعله، فمن هذا: الاقتراحُ الذي قدّمته اللجنةُ القاضي بضرورة التدقيق اللغوي للرسائل العلمية في الجامعات السورية، إذ أقرّ مجلس التعليم العالي هذا المقترح، وترك آلية تنفيذه لأقسام اللغة العربيّة في الجامعات السوريّة.

ومنها أيضاً اقتراحُ اللجنة إنشاء دبلوم في التأهيل والتخصص يعنى باللسانيات الحاسوبيّة. والمقترح لمّا يزل قيد المتابعة مع كليّة الهندسة المعلوماتية وأقسام اللغة العربيّة واللغات الأجنبية ومعاهد اللغات في الجامعات السوريّة، ويعوزه كي يرى النور جهد كبير في العمل الجماعي، والدعم المالي أيضاً. وأعتقد أن هذا المشروع سيكون ذا رؤية شبه متكاملة خلال العام القادم؛ ليوضع بين يدي مجلس التعليم العالي للسعي في اقتراح افتتاحه.

(*) عضو الهيئة التدريسية في جامعة دمشق.

ومنها أيضاً اقتراح اللجنة في رفع مُسْتوى اللغة العربيّة في الجامعات السوريّة عبر تأهيل المعيدين الذين هم نواة الجامعات ومستقبلها في اللغة العربيّة، وقد قُدّم تصوّر مبدئي حول هذا الأمر، فحواه أن يكون من شروط تعيين المعيدين في الجامعات حصولهم على شهادة ما يعدل (التوفل) في الإنكليزية، وذلك عبر تأهيلهم في دورات متتابعة لرفع مستواهم في اللغة العربيّة. وهذا المشروع يعوزه العمل الجماعي الذي لا بد أن تشارك فيه أطراف متعددة من صنو أقسام اللغة العربيّة في الجامعات، ومعاهد اللغات، وكليّة الهندسة المعلوماتية، ومجمع اللغة العربيّة، ويجب أن يلقى الدعم المالي الكبير من وزارة التعليم العالي؛ لأنه لا يمكن أن يرى النور دون الدعم المالي والإشراف الفعلي عليه من تلك الوزارة؛ فهو يؤدي إلى رفع مُسْتَوى المعيدين في اللغة العربيّة، وهو مما سيكون له أثر كبير في تطوير العملية التعليمية في الجامعات؛ لما للغة من صلة بالفكر والثقافة والمعرفة.

وقد عملت اللجنة ولمّا تزل على تطوير المصطلحات العلمية وتعريبها وتطويرها ونشرها في الجامعات والكليات، تمهيداً لفشوّها في الوزارات والمؤسسات العامة والخاصة؛ لأن تعريب المصطلحات العلمية وتطويرها له دور كبير في مسيرة التحديث والتطوير؛ ذلك أن مفتاح العلوم واكتسابها إنما يكون في وضوح مصطلحاتها وتوحيدها؛ لأنها إن كانت خبط عشواء اكتنف العلوم الغموض والإبهام، وليس الموضع يسمح بالكلام على أثر وضوح المصطلح في تحصيل المعارف والعلوم.

ومما اقترحته اللجنة أيضاً إنشاء قسم للغة العربيّة لغير المختصين، في الجامعات، وظيفته متابعة تدريس اللغة العربيّة في الكليات المختلفة؛ يعاد النظر في كتب اللغة العربيّة التي يدرسها الطالب في الكليات المختلفة، وفي

تدريب المعلّم المؤهل تأهيلاً صحيحاً لتدريس اللغة العربيّة في تلك الكليات، ومتابعة كل ما يؤدي إلى تمكين اللغة العربيّة لدى الطالب الجامعي في غير أقسام اللغة العربيّة.

ذلك أن أمور العربيّة قد آلت لدى خريجي الجامعة إلى حالة هشّة جدًّا، فاللغة تقبع في حياتهم في زاوية قصيّة؛ فإن اضطرتهم ظروف الحياة أن يتعاملوا مع اللغة تراهم في عسر وكرب وضيق، وهم يحاولون أن يسترجعوا بعض ضوابطها؛ وهمّهم الأول والأخير هو أن يتجاوزوا ذلك الظرف الذي أحوجهم إلى العربيّة. ولا يغيب عن الذهن أن كثيراً ممن يريد أن يتعيّن في عضوية الهيئة التدريسية أو الفنيّة في الجامعات السّوريّة ممن عليهم أن يُمتحنوا في اللغة العربيّة تراهم يعصرون فكرهم؛ كي يجيبوا عن أسئلة يسيرة تتصل بقواعد العربيّة من حالات تخصّ نصب المضارع أو جزمه أو بناءه، أو علامات الإعراب الفرعية، أو سوى ذلك من بديهي المعلومات؛ فتراهم يحاولون نفض غبار النسيان عن أذهانهم؛ كي يظفروا بتلك المعلومات اليسيرة التي رُكنت في مدى بعيد من ذاكرتهم.

وفي مقابل هذا تجد كثيراً منهم يستعدّون أيّما استعداد لامتحان اللغة الأجنبية؛ إذ يَسْتَبِقُون ذلك بالانتساب إلى دورات ليعززوا من خلالها مستواهم، فتجدهم ينتقلون من مستوى إلى آخر أعلى؛ وثمّة منهم من يبلغ درجة (توفل، أو ما يعدلها في اللغات الأخرى)؛ وهكذا ينفقون سنوات عدّة للنهوض بمستواهم في اللغة الأجنبيّة، وتكون النتيجة: سلامة في أداء اللغة الأعجمية نطقاً وكتابة وترجمة، على حين أنّ العربيّة تجلس في ركن بعيد يطول حبسه؛ ولا يفكّ إساره البتة؛ إلّا إن أحوجتهم الحياة إليه.

وبناءً على ما سلف يجب أن نعمل معاً لإنقاذ اللغة العربيّة مما آلت إليه في

الكليات المختلفة؛ بل في أقسام اللغة العربيّة نفسها؛ وإن نظرة في الأجوبة الامتحانية لَتُظهرُ حجم الأخطاء الكارثي على المستوى الإملائي والنحوي والتركيبي؛ ولذا كان مقترح اللجنة لإنشاء القسم الذي ألمحت إليه.

هذا، ولا يكاد اجتماع للجنة تمكين اللغة العربيّة يخلو من مناقشة فشوّ العامية في إعلانات الطرقات، وفي وسائل التواصل الاجتماعي. ويزيد في الطين بِلّة أسماء المحالّ التجارية الأعجمية التي تطالعك بلغة العجم، من نحو: (مس بلوند، مودة بيلي، إيفاستور، تالس، ليفاردو، ماجك شو، سوفت، ستبس، تي مول، يو جي، واي نَتْ، ماي دريم، كلاس، بي، بارفيه، ديب آند ديب، ديسباستيو). وهذه الأسماء وسواها كثير يكاد يلقي بالعربيّة في وادٍ سحيق؛ إن أضيف إليه حالها في الإعلام والجامعات والمدارس ووسائل التواصل الاجتماعي وسوى ذلك.

وأمام هذا أرى أن هذه المعضلة لا يمكن أن تعالج في إطار العمل الفردي، فلا بدّ من تضافر الجهود إذن، فمهما بذلت المدرسة ومَنْ وراءها من مؤسسات تربوية وتعليمية من جهود لرفع مستوى العربيّة فإنها لن تفلح في اجتثاث هذا الداء الخطير من أصله، وقلِ الشيءَ نفسه في الجهد الذي تبذله الجامعات، أو الذي تبذله الأسرة أو سوى ذلك ممن تقع عليهم مسؤولية هذا الضعف الشديد في قواعد العربيّة واستعمالها.

إذن أمام هذا يجب أن تتضافر الجهود جميعاً عبر عمل جماعي مخطط له، ومدروس دراسة صحيحة، إذ يجب على المؤسسات التربوية والبحثية تتبّع أسباب هذا الضعف الشديد على نحو علمي موضوعي دقيق، لتوضعَ النتائج بين يدي أولي العزم من رجال الفكر والعلم واللغة والأدب والإعلام والسياسة والاقتصاد والتربيّة وعلم الاجتماع..، فينظرون في تلك النتائج

مجتمعين متعاونين على غاية واحدة وهدف واحد، وهو استدراك هذا الانحدار في العربيّة لدى أبنائها، فيقترحون الحلول التي تنسجم والواقع العملي ، وتراعي الظروف الحالية التي نمرّ بها. وهذه المقترحات يجب أن تؤخذ على محمل الجدّ، فتوضع الخطط العلمية والعملية لتلافي هذا الضعف الشديد الذي يعاني منه أبناؤنا، مراعين استنهاض الهمم عندهم، وحثَّهم على العمل الدؤوب لتلافي هذا الضعف. وهذه الاقتراحات والحلول لا يمكن أن تعطي ثمرة دون أن يكون هناك استعداد من أبنائنا لقبولها، ولعلّ أكثر هذا الاستعداد يكون عبر بيان أثر اللغة في حياة أبنائنا، وبيان صلة اللغة بالفكر والثقافة، وبيان أن لكل أمّة حيّة شخصيةً وهويةً، وأن أهمّ أركان الهوية والشخصية: اللغة، ولا يمكن لأمة أن تنهض إن بقيت لغتها قابعة في زاوية باردة باهتة؛ لذا ترى الأممَ القويّة حريصة على إتقان أبنائها للغتها، فتراها تضع الخطط والدراساتِ والأبحاث التي تسعى إلى تطويرها، فتبذل الجهد والمال في سبيل ذلك.

على أنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا: لمَ لا تُرمى تلك الأمم بالتخلف؛ لأنها تُعنى بلغتها، على حين أن من ينادي من أبناء أمّتنا بإتقان الجيل للغته يرمى بالتخلف، وبأنه يعيش في الماضي، ولا يريد أن يعيش في المستقبل؟.

ولعلّ بعضهم يفهم من هذا الكلام أنني أريد أن يبقى الجيل المعاصر أسير الماضي لا يبرحه، وعليه أن يعبر عن الفكر والعلم بلغة العصر الجاهلي، فيستعمل مصطلحاتِه ومفرداتِه وتراكيبه، وهذا كلّه لا يقوم؛ لأن هذا الكلام يرمي إلى الإفادة من ضوابط العربيّة وظواهرها الأساسية دون أن نعيش في غابر الزمن؛ لأننا نريد من هذا الجيل أن يعبّر عن عصره هو، عبر مفردات وألفاظ تتناسب وعصرنا، وهو أمر لا يُعجز هذه اللغة؛ لأنها قادرة

بالفعل على استيعاب العلوم والفكر والحضارة، وليس ثمّة من دليل أعلى من تدريس العربيّة الفصحى في الكليات كلّها سواء أكانت علمية أم أدبيّة في الجامعات السوريّة. ويكفي فخراً أن خريجي كليّات الطّب من الجامعات السورية تفوّقوا على أقرانهم من الجامعات العربيّة الأخرى؛ لأنهم درسوا الطبّ بلغتهم الأمّ. وهذا الذي فعلته الجامعات السورية هو نفسه الذي تفعله الجامعات في ألمانيا وفرنسا وهولندا والنمسا وسواها؛ إذ تقوم بتدريس العلوم بلغتها الأم، فلماذا يبدو هذا طبيعيًّا جدًّا في تلك البلاد، فلا يُنبَس ببنت شفة على ذلك؛ بل إن الأصوات لتعلو معجبة بحرص تلك البلاد على لغتها الأم؛ فإذا آل الأمر إلى جامعاتنا ونُودي بتدريس العلوم فيها باللغة العربيّة الفصحى ترى هذه الأصوات نفسها ترمي هذه الدعوة بالتخلف، وبأن أصحابها يعيشون في الماضي، وهم يريدون من الأجيال المعاصرة أن تعيش في الماضي؟! هذا، علماً أن جلّ من رسّخوا وأسسوا للبيان العربي المعاصر كانوا من كبار الأطباء والمحامين والعلماء الأبْيناء من رجالات الفكر والأدب والتربية والاقتصاد وعلم الاجتماع.. الذين كانوا يُنادون بنهضة الأمة وتقدّمها. ومن كان لديه أدنى شكّ في هذا الكلام فلينظر فيما سطّره أولئك في آثارهم ومصنّفاتهم التي يمكن أن يعاودها المرء بيسر في زمن الشابكة. وليس أدلّ على هذا أيضاً من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق التي لمّا تزل شاهدة على عقود كانت تعجّ بالثقافة والمعرفة والدعوة إلى النهضة ومواكبة الحضارة الإنسانيّة، عبر لغة قد بُثّت فيها النّداوة والطّلاوة، فكان لها ذلك الوقع الساحر الذي يأخذ باللبّ والرّوح، فيبسط ما تجعّد من الخاطر على ما عبّر به ابن جني في مصنّفه الخصائص.

* * *